تقديم
نسمة وفاء

حَبِيبَتِي بِلادِي
نَسِيتِ فِي مَوَائِدِ الثَّنَاء
سَيِّدًا تَعَشَّقَ الفِدَاءُ
المَوتُ عِنْدَهُ حَيَاة
أَحَبَّ دَائِمًا أَنْ تُرْفَعَ الجِبَاهْ
وَكِفَّةُ الكَلامِ عِنْدَهُ
نِصْفُ كِفَّةِ العَمَلْ
أَحَبَّ أَنْ يَرَاكِ مَسْجِدًا مُقَدَّسًا تَرَاهُ
لا يُنَالُ تُرْبُهُ
نَسِيتِهِ مُقَيَّدًا
شُغِلْتِ عَنْهُ بِالْبَرِيقْ
مَنْ سَيُطْفِئُ الحَرِيقَ غَيْرُهُ؟
وَمَنْ سَيَمْسَحُ الجِرَاحَ إِنْ جَهِلْتِ سِرَّهُ؟

كنت أقرأ هذه الأبيات من قصيدة حبيبتي بلادي للشيخ إبراهيم عزت فاستشعر أنني كاتبها، وأقصد بها، حقًّا لقد نسيت بلادنا الكثير والكثير من العظماء، الذين سجلوا على صفحات التاريخ، لا أقول حروفاً؛ بل سبلاً ومسالك يستهدي بها من سيأتي بعدهم..

وأعجب عندما أجد الشعراء يُذْكَرون ولا يُذْكر فيهم إبراهيم عزت!

والخطباء يُذكَرون ولا يذكر فيهم إبراهيم عزت!

والمربّين يُذكَرون ولا يذكر فيهم إبراهيم عزت!!

والدعاة يُذكَرون ولا يذكر فيهم إبراهيم!!

وعزائي الوحيد أنه كان يحب ذلك؛ ومن أجل هذا أحببناه..

أحببناه لبساطته، وزهده، لرقته ولطفه، للينه ووعيه، لفقهه وفهمه..

***

هل تَذْكُر صاحبي تلك الساعات الجميلة التي كنا نقضيها يوم الخميس وليلة الجمعة، بين يدي الشيخ، في مسجد أنس بن مالك يحدثنا طويلاً ؟

هل تذكر شرحه لسورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦١﴾﴾؟

هل تذكر يوم الجمعة وقد امتلأ المسجد من ليلتها، وصوت الشيخ إمام يحث المصلين المتوافدين – قبل رفع الأذان وصعود الشيخ المنبر– على الصعود إلى تلك المباني التي بنيت حول المسجد؛ لاستيعاب أعدادهم المتزايدة، ويقول: [مسجد فوق المسجد]؟

هل تذكر تلك العشرات من آلات التسجيل التي كان الناس يحملونها ويضبطونها؛ لتسجل للشيخ إبراهيم عزت خطبته، حرصًا منهم واهتمامًا؟

هل تذكر الشيخ عندما كان يصعد المنبر، يحمل عصاه، وقد التف بشاله الأصفر الزاهي، وبياض جلبابه وعمامته يبدوان من تحتها، فيلف الصمت الجمع المهيب، وتتجول عينا الشيخ إلى الحضور للحظة، ثم ينطلق صوته المملوء حناناً وشوقاً؟!

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

[الأنعام]

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل دينه، حتى أتاه اليقين.

فاللهم اجزه عنا وعن والدينا، وعن الإسلام والمسلمين، خير ما جزيت به نبيًّا عن أمته، ورسولاً عن قومه.

اللهم أحينا على سنته، وتوفنا على ملته، وأوردنا حوضه، واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة، لا نظمأ بعدها أبدًا.

واجمع بيننا وبينه؛ كما آمنا به ولم نره، ولا تفرق بيننا وبينه، حتى تدخلنا مدخله».

هل تذكر يا صاحبي ذلك كله.. وقد تهيأت القلوب للسماع، وتوهجت الأنفس شوقًا، فإذا به ينطلق مفسرًا لآيات من القرآن الكريم، في حديث يأخذ بالألباب؟

أتذكر يا صاحبي يوم انفعل أحد الحاضرين، والشيخ يبدأ مقدمته، فإذا بالرجل عندما وصل الشيخ إلى « وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » يصرخ في هستيريا: « صلى الله عليه.. صلى الله عليه » ويكررها في عصبية شديدة؟! فيسكت الشيخ تمامًا حتى هدأ الرجل وانخفض صوته، ثم عاد صوت الشيخ من جديد - في هدوء - يعلو تدريجيًّا:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد].

«سمع رسول الله ﷺ قومًا يذكرون الله بصوت عالٍ، فقال: « **أيها الناس: أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمًّا، ولا غائبًا؛ وإنما تدعون سميعًا مجيبًا** ».

وعند هذه الكلمة كان صوته قد وصل إلى نفس المستوى الذي سكت عنده. فعاد إلى آخر كلمة سكت عندها: [**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**] وأكمل الخطبة كأن شيئًا لم يكن [1].

(1) كان هذا في خطبة (سورة الشمس).

أتذكر يا صاحبي يوم انقطعت الكهرباء - والمكبِّر معها - وهو يلقي بيانًا[1] بعد العشاء، وقد تعلقت الأسماع والقلوب بشفتيه، فإذا بصوته يعلو ليصل إلى آخر الموجودين في الحشد الكبير المجتمع في المسجد، ولكن ليس بكلام إنما بتلاوة آيات من القرآن:

أتذكر الآيات التي كان يقرؤها رحمه الله؟ إنها آيات سورة النور: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ .

[النور]

ألا تذكر معي يومها؟ لقد أضاء كلامه نورًا! فإن لم يصدق أحد أنه نور حقيقي أضاء المكان، فيكفي أن نقول: إن الآيات المنطلقة من القلب المليء صدقًا قد أضاءت كل كياننا.

أتذكر.. وتذكر.. وتذكر.....؟!

ثم مات إبراهيم عزت رحمه الله.

ولأمرٍ ما - أعجب من العجب - تعمَّد الكثيرون إخفاء ذكره؛ فلا شرائط له توزع وقد انتشر سوق الكاسيت! ولا كتب عنه تكتب وقد نضحت سوق الكتب بما لا يُقرأ! ومن لا يستشهد بكلماته التي كان يحفظها الكثيرون رغم كونها جليلة جميلة!

أين إبراهيم عزت الذي كان الآلاف يحضرون خطبته؟

أين هؤلاء الذين كانوا يسمعونه من عشرات الدول في الاجتماع الحافل يوم الخميس وليلة الجمعة، في مسجد أنس بن مالك؟

أين هؤلاء الذين كانوا يسعون لمرافقته في الجولات والخروج بالأيام والشهور، داخل مصر وخارجها؟!

---

(1) مصطلح من مصطلحات جماعة التبليغ، يطلق على الكلمة التي تقال بعد الجولة على الناس، وتجميعهم في المسجد.

لقد حكى بعضهم لي أن الشيخ رحمه الله زار أكثر من نصف قرى مصر ونجوعها، ولكن - للأسف - كأن هناك اتفاقًا ضمنيًّا على نسيان **إبراهيم عزت**؛ ضمن الكثير من الخير الذي ينسى في بلادنا العجيبة.

وَأَيْنَ يَا حَبِيبَتِي غِنَاءُ شَاعِرِكْ؟!
قَدْ سَالَ بَحْرُهُ مُنَغَّمًا مِنْ بَسْمَتِكْ
وَأَيْنَ يَا حَبِيبَتِي يَمِينُ عَاشِقٍ؟!
أَتَاكِ يَسْبِقُ الرِّيَاحَ.. كَيْ يُرَى بِجَانِبِكْ

***

واستمر حب **إبراهيم عزت** ينمو في قلبي، فكنت أجمع كل ما يتعلق به: خطب الجمعة / بيانات الخروج / دروس الفجر (ألقاها بعد انقطاعه عن الخطابة)؛ فقد كنت ممتلئًا حبًّا للرجل؛ حتى إنني كنت أقلده في خطابتي على المنابر، بل غالبًا ما أبدأ أي درس أو خطبة أو محاضرة - إلى اليوم - بتلك المقدمة الثابتة التي كان يبدأ بها خطبه.

كتاب خطب الشيخ إبراهيم عزت :

وفي أوائل التسعينيات برقت في ذهني فكرة أن أفرغ شرائط الخطب، وأضعها في كتاب يستفيد منه الخطباء، فبدأت العمل، وشرعت في إعداد مقدمة حول الرجل وسيرته، وبدأت أبحث عن وسيلة للاتصال بأسرته، حتى يسر لي الله أحد أفراد عائلتي « يرحمه الله » حكى لي أن أخا الشيخ إبراهيم « المهندس **محمد إسماعيل** » زميل له في العمل، فذهبت لزيارته في بيته في المهندسين، وجلست بين يدي الرجل البسيط المهذب، وعرضت عليه فكرتي، فرحب وأبدى كل العون، ثم ابتسم وقال لي: هل تعلم أن هناك كتابًا مؤلفًا حول الشيخ؟ وأراني كتاب « **الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره** » للدكتور **حسن عبد السلام**. [1]

(1) والكتاب لا يحمل أي بيانات نشر فيبدو أنه طبعة المؤلف.

وتوالت المفاجآت لأعلم أن كثيراً من ذلك الشعر الذي كان إبراهيم عزت يزين به خطبه هو من نظمه وتأليفه:

اللهُ أَكْـــبَرُ.. بِـــسْمِ اللهِ مَجْرَاهَـــا
اللهُ أَكْـــبَرُ.. بِـــالتَّقْوَى سَنُرْسِـــيهَا
اللهُ أكـــبر.. قُولُوهَـــا بِـــلا وَجَـــلٍ
وحققـــوا القَلْـــبَ مِـــنْ مَغْـــزَى مَعَانِيهَـــا

بِهَـــا سَـــتَعْلُو عَـــلَى أُفُـــقِ الزَّمَـــانِ لَنَـــا
رَايَـــاتُ عِـــزٍّ.. نَـــسِينَا كَيْـــفَ نَفْـــدِيهَا
بِهَـــا سَـــتُبْعَثُ أَمْجَـــادٌ مُبَعْثَـــرَةٌ
فِي التِّيـــهِ.. حَتَّـــى يَـــرُدَّ الرَّكْـــبَ حَادِيهَـــا
اللهُ أَكْـــبَرُ مَـــا أَحْـــلَى النِّـــدَاءُ بِهَـــا
كَأَنَّـــهُ الـــرِّيُّ.. فِي الأَرْوَاحِ يُحْيِيهَـــا

وعندما كان يرتفع صوته يحرك النخوة في عروق الرجال:

مَـــاذَا نَقُـــولُ لِـــرَبِّي حِـــينَ يَـــسْأَلُنَا
عَـــنِ الـــشَّرِيعَةِ لَمْ (نَحْمِـــي) مَعَالِيهَـــا؟!
وَمَـــنْ يُجِيـــبُ، إِذَا قَـــالَ الْحَبِيـــبُ لَنَـــا
أَذْهَبْـــتُمُ سُـــنَّتِي، وَاللهُ مُحْيِيهَـــا؟
إِنْ لَمْ نَرُدَّهَـــا لِـــدِينِ اللهِ عَاصِـــفَةً
سَـــيَذْهَبُ العِـــرضُ بَعْـــدَ الْأَرْضِ نُعْطِيهَـــا!

ثم كانت كبرى المفاجآت.. إن قصيدة ملحمة الدعوة، التي كان يغنيها منشد الصحوة المتألق **أبو مازن** من تأليف شيخنا **إبراهيم عزت**، بل إن تسعة من القصائد التي غناها أبو مازن من تأليفه [1].

(1) سجلت قصة اللقاء بين إبراهيم عزت الشاعر وأبي مازن المنشد في كتابنا (أبو مازن: صوت الصحوة) ونقلت الحوار في هذا الكتاب.

وأخيرًا علمت أن لإبراهيم عزت ديوان شعر اسمه « الله أكبر » مطبوعًا في حياته « يرحمه الله »، و لم يكن للأسف عند (المهندس إسماعيل) نسخة من الديوان!

حملت غنيمتي الغالية، وانطلقت إلى بيتي أقرأ في كتاب الدكتور حسن، وكأني أقرأ خطابات حبيب إلى حبيبه [1].

ومرت الأيام، وانشغلت عن فكرة طباعة خطب الشيخ في كتب. وكان اللقاء مع أبي مازن.. وكانت الحوارات التي سجلتها في الكتاب الذي كتبته عنه. وبحجم ما أسعدتني هذه اللقاءات وبهرتني.. كانت هناك مفاجأة بل مكافأة أكبر من ذلك كله، هي أنني وجدت أبا مازن يحتفظ بنسخة من ديوان الشيخ! طبعها بعض الشباب طباعة تصويرية، عن الديوان المطبوع في بيروت، وغيروا اسم الديوان من « الله أكبر » إلى « حبيبتي بلادي ».

وصف الديوان:

يقع الديوان في مائة وسبع وعشرين ورقة من القطع الصغير، ويحتوي على ثمانٍ وعشرين قصيدة.. وهو للأسف يمتلئ بالأخطاء المطبعية، وواضح أن الشاعر طبعه على نفقته الخاصة، حيث كان مكتوبًا على غلافه: « حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ».

***

عملي في الديوان:

نعم أحب الشعر، ولي محاولات قليلة فيه، وأتذوقه، ولكن لست عالمًا في عروضه وموازينه، وعندما أصدرت كتاب « أبي مازن » وعدت فيه بإخراج ديوان الشيخ إبراهيم عزت للنور.. وعندما حان وفاء الوعد اكتشفت أن المهمة أصعب من أن

(1) لخصت دراسة الدكتور حسن حول شعر إبراهيم عزت في هذا الكتاب.

أحملها وحدي، فقررت أن أكون عضوًا في فريق عمل، يقوم على إخراجه، والحمد لله الذي وفقني في اختيار أعضاء هذا الفريق، وأحب أن أقدمهم في كلمتي هذه ؛ لأقدم الشكر الجزيل لتعاونهم، وأظن أن القارئ سيسعد بهم كما سعدت أنا بهم.

د. حسن عبد السلام:

مؤلف كتاب « الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره»[1] لم أشرف بلقائه – وأتمنى ذلك – ولكنني التقيت به على صفحات الكتاب الذي بدأه بترجمة وافية عن الرجل، أخذها كلها من أفواه أسرته، فلقد كان له فضل سبق البدء؛ حيث لم يكتب عن الشيخ غيره إلا حوالي عشرة سطور في موسوعة سفير للشباب [2]. ثم عقد فصلاً طويلاً حول سمات شعر الشيخ إبراهيم عزت في خمس فقرات، لخصناها في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

نقد وتقديم:

ويهمنا هنا أن نلخص ما قاله الدكتور حسن عبد السلام تحت هذا العنوان:

مع تقديرنا للتجربة التي أخلص لها الشاعر « إبراهيم عزت » ووقف عليها شعره[3]، فإننا كنا نود انطلاقاً أوسع مدى، وإبداعًا أرحب أفقًا، وتنويعًا في مجالات

---

(1) لا يوجد على كتابه أي بيانات مرجعية أو وسيلة اتصال به.

(2) ولم يترجم للشيخ ابراهيم مؤلف كتاب (نشيد الكتائب) ونوه إلى عدم معرفته بمؤلف القصائد التي غناها أبو مازن له، وكذلك لم يذكر في موسوعة شعراء الدعوة المعاصرين لأحمد الجدع وحسني جرار، ولا في موسوعة أناشيد الدعوة لها.

وقد اتصل بي الأخ الأستاذ / يحيى بن صديق يحيى حكمي من السعودية شاكرًا على كتاب أبي مازن وأخبرني أنه كتب مقالاً بعنوان: (دراسة فنية في قصيدة: ملحمة الدعوة) وأرسلها لي فوجدته نقل القصيدة من كتاب (نشيد الكتائب) وأيضاً بَيَّنَ عدم معرفته لقائلها، وهي دراسة جيدة قد أضيفها للطبعة التالية من أي من الكتابين – وهي منشورة في مجلة المجتمع – الكويت – العدد 1404.

(3) بَيَّنَ الدكتور حسن عبد السلام أن إبراهيم عزت لم يكتب إلا في غرض واحد لم يتعده إلا قليلاً، وهو علاقته وحبه لله ورسوله (انظر تلخيص كتابه في الفصل الثاني من بحثنا هذا)، وهذا النقد غير جارح=

القول، يتناسب مع الموهبة الكبرى التي أنعم الله بها عليه، ويتناسب أيضًا مع رحابة التصور الإسلامي وشموله للكون كله والحياة جميعها، والمجالات التي يمكن للشاعر الإسلامي أن ينطلق فيها ليست محصورة في حقائق الدين وعقائده وأحداثه، بل إن الوجود كله هو مجاله.

يقول الأستاذ محمد قطب:

« قد يتحدث لنا الفنان عن البرعم النابض الذي ينبثق من ضمير الحياة، قد يتحدث عن الجبل الشامخ الأشم، قد يتحدث عن نبتة وحيدة في الصحراء، قد يتحدث عن الليلة المقمرة، قد يتحدث عن طفلة شريدة، قد يتحدث عن مواجع البشرية، قد يتحدث عن ضربة من ضربات القدر، قد يتحدث عن صراع الناس في الأرض، قد يتحدث عن بطل أسطوري.

قد يتحدث عن ذلك كله فيكون فنه إسلاميًّا، إذا تلقاه في حسه بتصور الإسلام الصحيح، وعبر عنه بروح ذلك التصور »[1].

وأكثر هذه المفردات لم يحظ بنصيب في شعر « عزت » بل إن الطبيعة الجميلة، بمناظرها الساحرة والآسرة، ومظاهرها العجيبة والرهيبة، لم تستثر شاعريته. وعلى الرغم من طوافه ببلاد الدنيا، واطلاعه على بيئات مختلفة وتضاريس متنوعة، وأجواء متباينة، فإننا لا نرى في شعره وصفاً لغابة، ولا حديقة، ولا جبل، ولا نراه يتوقف عند مشهد للمطر، أو الرعد أو الليل، أو الفجر مثلاً.

ومع أن شاعريته اهتزت لزيارة الرسول الكريم ﷺ أكثر من مرة، فكتب في مديحه عدة قصائد من وحي هذه الزيارات، فإننا لا نجد مشهد الحجيج، أو جلال الكعبة، أو جمال زمزم، يستثير هذه الشاعرية.

= فيما أحسب ؛ فإن عددًا من الشعراء القدامى والمعاصرين اشتهروا بتركيزهم في غرض واحد كتنزار المتخصص في المرأة، وأحمد مطر المتخصص في الهجاء السياسي. البسيوني.

(1) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص119، دار الشروق، القاهرة، 1981.

ولا تظفر في شعره كذلك بشيء عن حياته الخاصة في محيط أسرته بعد زواجه وإنجابه، ويبدو أن هذه الشاعرية استنفدت طاقتها في التجربة المريرة التي ألمت بالشاعر في أول شبابه، وأنها بعد ذلك انطفأت أو خبت؛ لمَّا شغل الرجل نفسه بهموم الدعوة، والعمل لها، فلم يبق عنده وقت للشعر [1].

كما يبدو أن انشغاله بهذه الهموم لم يدع له فرصة لمراجعة ديوانه، وتصويب الأخطاء اللغوية والموسيقية، والتي يرجع أكثرها إلى عدم تخصصه في دراسة اللغة «نحوًا وصرفًا وعروضًا».

ومن هذه الأخطاء [2]:

1- عدم جزم الفعل المضارع بعد لم في قوله:

ماذا نقول لربي حين يسألنا　　عن الشريعة لم (نحمي) معاليها

ويبدو أنه ضحى بالقاعدة النحوية لتسلم له موسيقى البيت؛ لأنه لو حذف الياء من « نحمي » لانكسر، وكان يمكن أن يصح البيت هكذا:

ماذا نقول لربي حين يسألنا　　عن الشريعة لم نحفظ معاليها

ثانيًا- قوله:

والغيث تصنعه يد قدسية　　والحب ذو عصف وذو ريحان

أخطأ بإضافة «ذو» إلى «ريحان» لأن المعنى على هذا الوضع يكون وصفًا للحب بأنه ذو عصف وذو ريحان، ويبدو أنه حقق للبيت سلامة الوزن في غفلة عن صحة المعنى، ولم يتذكر أن الآية القرآنية التي اقتبس منها هذا التعبير، لم تفد أن الحب ذا

---

(1) وأنا أوافق على هذا الرأي؛ إذ لم تنطفئ شاعريته وإنما وجد ما يشغله عنها.

(2) قمنا بتصحيح معظم هذه الأخطاء في الديوان على رأي د. حسن عبد السلام وغيره من فريق العمل مع اعتقادنا أن أكثرها من أخطاء الطباعة، وغياب المراجعة الدقيقة للديوان، لذا أهملنا إيرادها هنا لوضوح كونها من التساهل في الطباعة والتصحيح.

ريحان، فلفظ « الريحان » في الآية الكريمة ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن]، جاء مرفوعاً، ولم يأت مجروراً.

- قوله:

فلنجتني حصادنا بكبرياء

أثبت حرف العلة « الياء » في الفعل المجزوم بلام الأمر، والصحيح « فلنجتن ».

- قوله:

زد في السؤال يزيد ربك في العطا فمليكنا يعطي على قدر الرجا

أثبت عين المضارع « يزيد » وهي الياء، والفعل مجزوم لأنه واقع في جواب الأمر « زد » والصواب حذف عينه حتى لا يلتقي ساكنان، ويصح البيت هكذا:

زد في السؤال يزدك ربك في العطا فمليكنا يعطي على قدر الرجا

- قوله:

ولتهتكوا حرمات أشرف النساء ولتضحكوا مما يغار له الحياء

مكسور، وتصحيحه مع المحافظة على لفظه ومعناه:

ولتهتكوا الحرمات في خير النساء ولتضحكوا مما يغار له الحياء[1]

وهذه أخطاء هينة لا تذهب بشيء من قيمة شعر « إبراهيم عزت » التي تتمثل في أنه شعر راقٍ في معانيه وصوره وأساليبه، وأنه يحمل هموم داعية أخلص في دعوته، وأنه متنوع الأطر الموسيقية، غني في إيقاعه ونغمه، في شكليه التقليدي والجديد، وأنه لم يتورط في عيوب الجمود التقليدي، ولا عيوب الانفلات التجديدي، فبرئ من الغرابة والغموض، والركاكة والضعف، وسلم من التورط فيما تورط فيه كثير من معاصريه

(1) لعلها كانت (ولتهتكوا حرمات أشراف النساء) وهي مضبوطة وزنًا، وإن كان وصف النساء بالمذكر غير قياسي لغة – البسيوني.

الذين ارتموا في أحضان الحداثة دون وعي، كما تتمثل قيمة هذا الشعر في جمعه الموفق بين حقيقة الدين وروعة الفن من غير أن تضعف إحداهما الأخرى [1].

هكذا كان نقد د. حسن عبد السلام المنصف الذي لم يأخذه انبهاره وإعجابه بالرجل أن يكشف هذه الهنات في شعره.

وعندما قرأت هذا الكلام ثم وقع في يدي الديوان اكتشفت حقيقة الأمر، وأن الطباعة الرديئة، وعدم مراجعة الديوان بعد طباعته - حيث لم يخرج في طبعة ثانية - أديا إلى وجود كثير من الأخطاء التي استدركها د. حسن، بل أضعافها؛ إذ لا تخلو صفحة من الديوان من عدد من الأخطاء اللغوية والمطبعية والعروضية [2].

لقد حدث ما جعل الشيخ يعرض عن الشعر، بل عن تصحيح ديوانه، وكأنه يستحضر نفسه عندما يقول:

والآن يا حبيبتي / لن أكمل الحديث / وإن بدا مشوِّقًا / فليس ما أريده إثارة الطرب / أو أن تحركي الشفاه من دلائلِ العجب / ولن أتمَّ يا حبيبتي النغم/ فقد رأيتُ ما يحرِّمُ النشيد / ألف عام / فصرت كلما بدأتُ في الغناء / أجهشتُ بالبكاء.

لن أُمسك القلم / فالرعشة التي سرت في قلبيَ المنهوك / أصابت المواقع الخضراء بالعقّم / فلم تعد تجيد غير نبضة الألم.

لَنْ أُكْمِلَ الْحَدِيثَ يَا حَبِيبَتِي / فَشَمْعَتِي فِي لَيْلَةِ الْجُفَاءِ أُطْفِئَتْ

(1) الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره، حسن عبد السلام، ص87 – 91 .

(2) تعاملت مع الديوان كأنه مخطوط يحتاج إلى تصحيحه وتهذيبه ليخرج للقارئ، وكنت أود تصوير صفحات منه قبل التصحيح وبعده، ليقف القارئ على الجهد الذي بذله فريق العمل لإخراجه.

وَأَكْذَبُ الأَصْوَاتِ فِي هَوَاكِ قَدْ عَلَتْ

وَقِصَّةُ الكَلامِ كُلُّهَا قَدِ انْتَهَتْ

قَدِ انْتَهَتْ يَا بِلادِي ...

أو إنه رأى أن وقت الكلام قد انتهى وبدأ وقت العمل؛ فانطلق يعزف أنشودة أخرى فوق المنابر وبين الناس يدعوهم إلى الله.

نعم.. فلم يَعُدْ إبراهيم عزت إلى ديوانه مصححًا أو مراجعًا؛ فلم يكن لي بد من المراجعة!

وعندما استشرت بعض المتخصصين رأى فريق أنه من الأمانة أن يطبع الديوان كما تركه الشاعر؛ حتى يخضع للبحث العلمي والنقد الأدبي، ورأى آخرون أنه نوع من التحقيق، وليس مجرد نشر ديوان شعر، فيجب أن تعمل فيه يد التصحيح تحت مسؤولية المحقق والمخرج.. وبذلك أصبح هذا الكتاب مسؤوليتي الشخصية التي أتحملها راضيًا، وأعفي حتى فريق العمل من أي تقصير.

وأردت أن آخذ بأوسط الآراء، فاجتهدت أن أثبت الكثير من أسباب التغيير في هوامش الكتاب وإن كنت تجاهلت ما لا يصيب المعنى.

فريق العمل:

وكان أفضل ما تم هو عرض الديوان على أكثر من محب للشيخ ليبدي الكل رأيه، فكانت مناقشة علمية جيدة، وكأنها ندوة حول الشاعر والديوان، وهكذا فقد انضم إلى فريق العمل شاعران فاضلان، وصديقان عزيزان.

عبد الله رمضان

أبو ريم كما يكني نفسه، حاصل على الماجستير في اللغة العربية من دار العلوم في جامعة القاهرة، ومتخصص في عروض الشعر. وهو فوق ذلك كله شاعر، أهداني ديوانه المخطوط « رسالة إلى العيون الجريحة » والذي نشر الكثير من قصائده في

المجلات الأدبية والإسلامية مثل المجتمع والرسالة، ولعل من المناسب هنا أن أذكر لكم شيئًا من شعره:

يقول في قصيدته « الكل باطل »:

الليل راحل / والصبح داخل / بدم الشهيد يسيل ما بين المداخل / وبقلبه المحروق في اللهب والقنابل / وبصدره المخروق من رشاش سافل / الليل زائل / بدم الثكالى والأرامل / من حفنة الأحجار تقذفها الأنامل..

يا قدس يا تاج الأوائل / هذا صلاح الدين من بوابة الأسباط داخل / وأبو عبيدة خلفه الآلاف في نابُلْسَ نازل / هذا هو القسام تسبقه الزلازل / تتجسد الآمال في طفل مقاتل / تتعانق الأحلام في بنتٍ تنازل / تتداخل الأيام في حجرٍ مناضل / شدي يديك على الزناد / فلم يعد في القوم فاعل / فالكل باطل / والكل قاتل.

وفي قصيدته « تَصْمُتِيْنَ » يقول:

كان يا ما كان: نهر وشجر / وطيور ونسيم وزهر / كان زيتون وليمون / على مدخل القرية / شاخص البصر / في وداع الذاهبين / وانتظار العائدين / كان يا ما كان بنت عربية / منذ بدْء الخلق ما زالت صبية / ترتدي تاج إباء خالد / ومن الأماسح حرًا مرمرية / عاشت العمر نقية / ليس ترضى بالدنية.

ثم يذكرها بعد أن أصابتها المأساة فيقول:

كم رأيناها وكم آهٍ / وما تنفع الآه إذا السهم ارتمى / ركضت حول حماها عصبة / بنت شيطان ترى في العمى / راح منها طهرها / وتعرى ظهرها / صرخت في كل وادٍ ربما / هب للنجدة من يحمي الحمى / قاومت واستأسدت في ضرها / عادت الصرخة تشكو الصمما / وتلاشت في السكون / ومتاهات

السنين / تصمتين الآن بأسًا / تصمتين / بعد ما صدع واديك الأنين / تصمتين!![1].

هذا شعر أبي ريم.. أما فعله في الديوان فلا أملك إلا أن أقول له جزاك الله خيراً، فقد أعطيته صورة من الديوان المصور عن الأصل، فصحح الكثير من الأخطاء المطبعية، وبيَّنَ الكثير من التجاوزات النحوية التي يتسامح فيها المصحح بسبب الضرورة الشعرية، وأعاد توزيع أبيات القصائد التي كتبها الشاعر على نظام التفعيلة، وقال في ذلك: « هذا التوزيع الجديد للأسطر والتفاعيل، يجعلها موزونة، أما في شكلها الأول فقد كانت مكسورة أحيانًا، ومتداخلة الأبحر أحيانًا أخرى ».

وقد اعتمدت الكثير مما أثبته الشاعر عبد الله رمضان، كما اعتمدت معظم ما صححه د. حسن عبد السلام.

ومن تعديلاته التي أثبتها لوجاهتها، وليقيني أنها أخطاء مطبعية:

1- تغيير كلمة « أحياناً » إلى « أحياءً » في قول الشاعر:

جدوا لأقدارها فالهزل مقبرة
بها ستدفن أحياناً ونبكيها[2]

2- تغيير كلمة « يدفئه » إلى « يدفعه » في قول الشاعر:

فالقلب يدفئه إلى الله انتماء
منه تذكو جذوة الإيمان

3- تغيير كلمة « أحمد » إلى « قد أطبقت » حيث ينضبط الوزن ويختفي الغموض من البيت في قول الشاعر:

لبيك فاكشف كربة أحمد
فالشيب يعلو هامة الولدان

(1) يقصد القدس في قصيدته الرائعة الطويلة.

(2) رأى الشيخ عبد السلام أنها صحيحة ولكن بلا تنوين (أحيانا) جمع (حي وأرى أنها أوضح للمعنى.

4- تغيير كلمة «الجناز» إلى «الجنان» في قول الشاعر في قصيدة «أبي»:

معزوفــــــة الجنــــــاز في حــــــدائق الجنــــــون

حيث يستقيم المعنى.. فهل الجناز هي الجنائز وما صحتها لغويًا؟ [1]

وقد استشارني رمضان في كتابة مقال أو أكثر حول الشاعر، ينشرها في الجرائد المتخصصة أو على شبكة المعلومات «الإنترنت» فأعطيته كتاب د. حسن وديوان الشاعر، فكتب مقالين جيدين، أظن أن مكانهما الطبيعي هذا الكتاب الجامع، حول شعر إبراهيم عزت، فنشرتهما فيه بعد استئذانه.

محمد عبد المعطي

وهو صديقي العزيز الذي يلازمني في كل أعمالي، والمراجع اللغوي ذو اللمسات الفنية الراقية.. وقد قام بجهد ضخم في مراجعة الكتاب كله.. وكان جهده الأكبر في ضبط القصائد، حيث مشكلة الأخطاء المطبعية، فكان يقابل القصائد على شرائط أبي مازن، وكتاب «نشيد الكتائب» وكتاب الدكتور حسن عبد السلام والديوان الأصلي.

الشيخ البسيوني

ثم جاء دور عبد السلام البسيوني، وما أدراك من عبد السلام البسيوني.. ويكفي تعريفًا به قراءة ذلك المقال الرائع الذي كتبه حول الديوان.. إنه صاحب الكتب

(1) وقد بَيَّنَ الأستاذ عبد السلام البسيوني أن «الجِنّان» هي الجن، وهي فصيحة لغويًا، ويستدل عليها بقول أبي العملس الطائي:

فلو أبصرتني بلوى بطانٍ أصفق بالبنان على البنان

فأقلب تارة خوفًا ردائي وأصرخ تارة بأبي فلان

لقلتَ أبو العملس قد دهاه من الجنان خالعةُ العنان

الكثيرة المطبوعة والنافدة من السوق.. والذي توقف عن النشر بعد أن أصابته غضبة مؤلف من الناشرين، فاكتفى بالصحف والإنترنت؛ إلا أن تحت يديه روائع من أنواع الكتابة التي تفتقدها المكتبة العربية، وهي الكتابة الساخرة الناقدة؛ فهو من القلائل الذين يجعلوننا نضحك من شدة الحزن، وإذا أردت اكتشافًا فاقرأ له « **وأدرك عبسلام**[1] **الصباح** » و« **مقامات بديع الزمان البسيوني** » و« **بسيولوجي** » واقرأ له «**تجفيف منابع الأنوثة**» و «**قال نسوة**» إضافة إلى كتاباته الجادة الأخرى مثل: **ماذا يريدون من المرأة؟ والعقلانية، وفقه الواقع، والألوهية، وحرية المرأة، والغبرة، وتفكيك الأسرة، واليسار الإسلامي**، إلى آخر ما كتبه من الكتب الرائعة، التي أسأل الله أن أجدها منتشرة بين يدي القارئ العربي، الذي أثقله الحزن.

وهو الشاعر الرائع صاحب القصائد المغناة، والمسرحيات الشعرية، والدواوين الكثيرة: أرسلت إليه منذ شهور رسالة إلكترونية، أطلب سيرة ذاتية، له ليحل ضيفاً على موقعي الإليكتروني[2]، فأرسل إليّ هذه السطور:

«آني اسمي عبسلام، 52 سنة، من زفتى، ومتجوز اتنين، والتالتة الله يرحمها، والرابعة في السكة إن شاء الله، ومقاس شبشبي 47 بوز عريض! ككل شخص سمين باحب المحشي والمكرونة، وأعاني من الضغط والسكر وخشونة الركبة، ومرشح لجايزة نوفل، وأجيد عدة لغات منها الإنجليزية والزفتاوية ولهجة أبناء الخليج، إضافة للعربية الفصحى والمصرية العامية اللتين أكتب بهما الشعر والمسرحيات العسل. أزعم للناس عادة أن لي نحو خمسين كتابًا، منها 15 نفدت من الأسواق بعد نزولها بشهرين تلاتة، ولن أنشر الباقي لأني تعقدت من الناشرين ولاد الـ..... عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وخبير بمجمع فقهاء الشريعة، ورئيس أمناء مدارس الدحيل المستقلة، وموجه شرعي لمركز قطر للتعريف بالإسلام أو كما يسمى اختصارًا

---

(1) هكذا يكتبها هو.

(2) عنوان الموقع: www.akramreda.com .

(QCPI) وخطاط ورسام، وباحث ومفكر، وأجيد شراء الخضار من السوق، وقضاء الحوائج اللي دائمًا حماتي تلومني على شرائها، وتقول لي إني عمري ما هاتعلم، معد برامج بتلفزيون قطر، وكاتب بالإذاعة، ولي بابان أسبوعيان بالراية: ملفات ملغومة، وحقك وفوقه بوسة.

مراتي الأسترالية في أجازة في جولد كوست، والست الزفتاوية بعافية شوية، وأصغر بناتي حنين في رابعة ابتدائي، والواد ابن صفاء بنتي كان راقد في الطوارئ امبارح طول الليل، وتصبح على خير».

أرسلت إليه هذا الكتاب حيث مهجره في قطر.. فطار به فرحًا، وقرأه وتأمله.. لقد فرح فرحًا شديدًا جعلني - وأنا الفرحان جدًّا بالشيخ وشعره - أعجب من شدة فرحه، وراجع المقال الذي كتبه لتجد صدق ما أقول.

وبالمناسبة هو لم يهددني بكوندا ولا غيرها.. فأنا الذي كنت شديد الحرص أن أكتب حول الديوان، فنحن لا نخاف بعد أن لم يعد فينا مكان للخوف؛ إذ امتلأنا حتى الحلوق خوفًا!

ورأى الأستاذ عبد السلام أو الشيخ عبد السلام كما يناديه مريدوه في قطر بعض اللمحات التي فاتت الأستاذ رمضان؛ فعدلها، وبينها لي، وترك لي الاختيار؛ وذلك من أدبه، وحرصه على الأمانة العلمية.

فاعتمدت الكثير من ملاحظاته، وتركت بعضها كما أوردها الشيخ إبراهيم يرحمه الله، رغم منطقية الكثير منها، وذلك لشدة التصرف.

1- مثال ذلك قصيدة «أمي» يقول:

يا من بها فرحي غداً أنشودة ولها أجدد بسمة وأغان

عدلها إلى «**ولها تُجَدِّد بسمةٌ وأغان**» خروجًا من الخطأ النحوي الظاهر.

[illegible]– وقوله:

وبذكر من يهب السلامة فاحتمي　　　وامضي إلى الحصن الذي آواني

عدلها إلى:

وبذكر من يهب السلامة أحتمي　　　أمضي إلى الحصن الذي آواني

[illegible]– وقوله:

وغداً نجلجل بالحياة بمرفئي... عدلها إلى « بعزة ».

[illegible]– **وفي قصيدة أبي:**

رأى الأستاذ عبد السلام أن قول الشاعر « **لم أقمت يا أبي بدارهم** » مكسورة الوزن.. وغيرها إلى « **لم استفأت يا أبي بظلهم** » ولكني أبقيتها كما هي.

[illegible]– **في قصيدة « فلنطلق ابتسامنا »:**

حذف سطر « لا..ألفان » بعد قول الشاعر واحد ثلاثة وألف، وغير سطراً يقول فيه « **فالغيب قد يحمل بالتأويل** » إلى « **فالغيب يحمل في أحشائه المعاني** »؛ **ذلك** لركاكة بعض الألفاظ وكسر الوزن كما كتب لي.

[illegible]– **وفي قصيدة « وكان ملحدًا.. ومات »:**

غير سطر: **ويطلق الكلام تأثرًا عن نصرة العمال والفلاح إلى:**

ثائرًا / عن نصرة العمال / عن عزة الفلاح.

وكرر كلمة يرتل في نهاية القصيدة.. يرتل القرآن.. يرتل القرآن وكانت: يرتل القرآن... القرآن.

[illegible]– **في قصيدة دعاء... قال الشاعر:**

والأمر أمرك إن أردت رحمتنا　　　وإذا أردت فقد عدلت بقهرنا

فغيرها إلى: **وإذا قهرت فقد عدلت بقهرنا**

تعالى– في قصيدة يوم الحبيب صلى الله عليه وسلم: أضاف « إذ » لقوله:

« من أبدع الكون ذكراه تذكينا » فأصبحت « من أبدع الكون إذ ذكراه تذكينا ».

ثم كتب الأستاذ عبد السلام البسيوني مقالاً رائعًا تأمل فيه الديوان بوعي للشعر، والشاعر، وزمن كتابته، والبيئة الشعرية والأدبية وقتها، وقد وضعت له عنوان «إبراهيم عزت الذي لم أعرفه » فهو يعبر بشدة عن الحالة البسيونية عند قراءة الديوان[1].

وقد أراده مقدمة للكتاب، ولكني جعلته من الدراسات حول الديوان؛ لأنه يناسب ذلك، ومن أجل أن أكتب أنا المقدمة، وإلا لم أكن قد فعلت شيئًا أستحق به وضع اسمي على هذا الكتاب، الذي أعتبره تحية وذكرى يتنهد بها القلب، لحبيب غاب عن أعيننا، ولكن لا يزال صوته هادراً في قلوبنا.

ولا نزال نستمع إلى دعائه في آخر كل خطبة له:

اللهم هيئ لأمة حبيبك محمد أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر..

اللهم من أرادنا والإسلام والمسلمين بخير فوفقه لكل خير..

اللهم من أرادنا والإسلام والمسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره، واشغله بنفسه، وأهلكه كما أهلكت عاداً وثمود..

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم:40 – 41]. وأقم الصلاة....

رحمك الله شيخنا وأستاذنا وشاعرنا وجمعنا بك في مستقر رحمته.. آمين

أكرم رضا

---

(1) ثم اتصل بي الشيخ «عبد السلام» ليزف إليّ نبأ تأليفه لقصيدة مستوحاة من حياة الشيخ «إبراهيم» وشعره فأرسلتها بسرعة إلى المطبعة والكتاب ماثل للطبع ستجدها في قسم الملاحق.